

الترجمة الأدبية والمترجم العربي بين تحديات الواقع وإمكانات المأمول

between the challenges of Literary translation and the Arabic translator
reality and the potential of hope



د. عبد العزيز بن تيشة *

جامعة أحمد بن بلة وهران 01 – وهران

abdelazizbenticha76@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/02/18 تاريخ القبول 2025/05/05 تاريخ النشر 2025/06/03



ملخص:

في هذه الورقة البحثية، رؤية موجزة، تُصوّر بعض الإشكالات والإمكانات، وشيئا من التحديات والتحفيزات، التي تتعالق مع واقع الترجمة، ومستقبلها، في الوطن العربي. ومن زوايا مختلفة، يصوّر البحث فكرة مُثلث (النص، المترجم، والقارئ)، التي تدفع إلى الإجابة عن أسئلة جوهرية: عن ماهية الترجمة الأدبية؟ ومن هو المترجم؟ ولماذا يُترجم؟ وما دور الترجمة الأدبية في التواصل الثقافي؟ وكيف تكون الترجمة مشروعا ثقافيا ناجحا؟

الكلمات المفتاحية: الترجمة الأدبية؛ النص؛ المترجم العربي؛ القارئ؛ الوطن العربي.

Abstract:

In this study, we highlight - in a nutshell - some of the problems and possibilities, and some of the challenges and motivations that are in keeping with the reality of translation, and its future, in the Arab world.

From different angles, the idea of a triangle (text, translator, reader) crystallizes, prompting us to ask fundamental, additional questions, what is literary translation? And who's the translator? And why translate? What is the role of literary translation in cultural communication? How is translation a successful cultural project?

key words: literary translation, text, translator Arab, reader, Arab world

* المؤلف المراسل

مقدمة:

تحتل الترجمة مكانة مرموقة في الحياة الثقافية للأمم، ولا أحد ينكر الدور الذي نهضت به الترجمة العربية الأدبية في الانفتاح على ثقافة الآخر، والانفلات من التقوقع حول الذات؛ لتخترق الآخر عبر لغته الأصلية، مما يجعلها قادرة على المنافسة الثقافية، والإسهام في تقارب الأفكار، وإغناء الحضارة الإنسانية. فقد تطورت حركة الترجمة الأدبية العربية إلى الأفضل، لكن مازالت تحتاج إلى مزيد من التنمية الفاعلة، والمضي قدماً، والأخذ بأسباب النجاح والازدهار.

إن الوطن العربي، والثقافة العربية، واللغة العربية، بحاجة ماسة إلى المزيد والمزيد، من دعم الترجمة، والمترجمين، وحمايتهم، وتنظيم نشاطهم في كل مكان. لأنّ الترجمة في حقيقتها؛ هي تأليف، لذلك هي علاقة حميمة، تجمع بينها وبين الفكر، الذي - بدوره - يقف وراء النص، وهي أيضاً علاقة حميمة بالتجربة، التي تُشعر المترجم أن من واجبه نقلها إلى قراء جدد، وعالم جديد، بأمانة ومسؤولية ومصداقية، مع ضمان حقوق ملكيته الفكرية.

المبحث الأول

واقع الترجمة الأدبية

المطلب الأول: القيمة والمفهوم

الترجمة أنواع عدة، شفهية، تحريرية، وما يتفرع عنهما، كالترجمة الفورية والشعبية .. ووظيفة الترجمة الأدبية لا تتعلق باللغة فحسب، بل تتعامل وتتواصل أيضاً ما بين الثقافات التي تكون مضمّنة في لغاتها، همّها نقل الخصائص التعبيرية الثقافية في النصوص الأدبية؛ بحيث يسعى المترجم إلى أن يُحدث النصّ المترجم نفس الأثر، والوظيفة التعبيرية في اللغة الأصل، هذا الأثر الذي يتضمن جميع الجوانب الثقافية، وكذلك الأسلوبية والجمالية. إذ تُعبّر الترجمة بماته الصفة الخاصة عن " ترجمة الأدب بفروعه المختلفة أو ما يُطلق عليه الأنواع الأدبية المختلفة literary genres - مثل الشعر والقصة والمسرح وما إليها، وهي

تتشرك مع الترجمة بصفة عامة أي الترجمة في شتى فروع المعرفة، من علوم طبيعية (كالفيزياء والكيمياء والأحياء) وإنسانية (كالفلسفة وعلم النفس والاجتماع) وتجريبية أو تطبيقية (مثل الهندسة والزراعة والطب) وإنسانية¹.

ولقد حظيت "الترجمة الأدبية، بوصفها فرعاً من فروع الترجمة، باهتمام خاص في الدراسات الترجمة المعاصرة، بالنظر إلى ما تتميز به من خصوصية فنية وإبداعية، فهي فنٌ وعلم في آن واحد"². فكم استمتع الجماهير بالمسرحيات والروايات المترجمة، وكم طالع القراء من قصص وأشعار.. فمنذ زمن سحيق، كانت الترجمة الأدبية معبراً ناقلاً لثقافات الشعوب، ووسيلة للتواصل الإنساني، وباباً رحباً للمتعة والفكاهة والتسلية. فقد أصبح للترجمة الأدبية نصيباً وافراً في عالم الترجمة ودور النشر، وفي سوق العمل، مما يؤكد أهميّة تعلّمها وتعليمها بجدارة وإتقان.

يقود مفهوم مصطلح الترجمة الأدبية -للهولة الأولى- إلى ترجمة الأدب، لكن إصباح صفة الأدبية على الترجمة يأخذ إلى معنى آخر؛ وهو أنّ الترجمة نفسها (عملية الترجمة، النص المترجم)، هي في الواقع نصٌ جديد ينبغي أن يكون أدبياً، وعليه من الصعب أن يُترجم أحد الأدب وهو لا يملك حسّاً أدبياً، وليس بالضرورة أن يكون المترجم ذاته كاتباً أو روائياً أو شاعراً، بل ينبغي أن يمتلك ذوقاً أدبياً.

وكما لا يُتصور أن ينقد الأدب من يفتقد صفة الذوق الأدبي، كذلك يجب على المترجم أن يعرف لغة الأدب، وما يكون به الأدب أدباً. وتكمن أدبية النص في العناصر والخصائص التي يمكن عند رؤيتها أن نحزم بأدبية النص مثل: (الصورة، الخيال، المجاز، الكلمة الموحية، والعاطفة ..)، وكثيرة هي العناصر التي تجعل النص أدبياً؛ التي منها اللغة، إذ "يرتبط تطور اللغة ارتباطاً وثيقاً بتطور عملية الترجمة نفسها، إذ أنها تُعدّ رافداً يُغني اللغة بألفاظ ومصطلحات وحتى تراكيب جديدة، وهي كذلك تؤكد كينونة اللغة بدخولها في دائرة تفاعلية مع اللغات الأخرى، بل يتجاوز هذا التفاعل حدوده اللغوية إلى

الثقافية والعلمية. فالترجمة في أساسها عمليةٌ ثقافٌة بين الحضارات، وبهذا فإن السؤال عن واقع الترجمة والمصطلح يُمثّل ركنًا أساسيًا في قراءة واقع اللغة العربية واستشراف مستقبلها وموقعها بين اللغات الحية"³.

فالترجمة الأدبية، هي نوع من الترجمات المتخصصة، التي لا بدّ للمترجم قبل الدخول فيها، أن يمرّ بمرحلتين مهمتين للغاية، أولها: إتقان اللغتين والإلمام بالثقافتين، وثانيها: إتقان الترجمة العامة.

المطلب الثاني: المعرفة الأدبية للمترجم

تتطلب الترجمة الأدبية صياغة متمكنة تحوي صورًا جمالية، ومعانٍ عميقة، وعلى هذا النحو من السمات، يختلف المترجمون. فمن يمتلك هذه القدرة على معرفة الأدب وتذوقه، فسيسهل عليه نقل النص من اللغة الأصلية إلى لغة أخرى مستهدفة بالترجمة. كما ينبغي أيضًا، أن يكون المترجم عارفًا بأدبية اللغة التي يُترجم إليها، فإذا كان يُترجم مثلاً، من الإنجليزية إلى العربية، فحريٌّ به أن يكون مستوعبًا لأدبيات اللغة الإنجليزية، وأسلوبها الأدبي. وكذلك الشأن في الأدب العربي؛ لأنه سيُنتج إليها بالترجمة نصًّا جديدًا باللغة العربية؛ من المفترض أن يكون هذا النص أدبيًا أيضًا. فالحسُّ الأدبي، والتمكن من اللغتين، أمرٌ ضروري جدًا، ومهمٌّ إلى أبعد الحدود. والمترجمون في توفر هذه الأدبيات درجات متفاوتة، مما يعكسُ بالمقابل تفاوتًا في درجات الترجمة وصنعتها الفنية وجودتها اللغوية.

تسيء بعض الترجمات إلى النصوص الأصلية، وتفقدُها حيويتها، ونضارتها، وعناصرها الأساسية. وقد ترقى بعض الترجمات وتصل إلى مستوى جودة العمل الأدبي الأصلي، وربما أكثر، وذلك راجعٌ لموهبة المترجم الفذة والنوعية، الذي يستطيع باقتدار على إنتاج نص أدبي في اللغة الجديدة، ويمتلك من الخصائص، ومؤهلات الجمال والعمق، ما لا يقلُّ

عنها في النص الأصلي. ومن المتعارف عليه صعوبة إمكان هذا الأمر، ولكنها نظرة مثالية للنص الأدبي الأصلي، الذي يرقى إلى الكمال.

في الحقيقة ليس هناك نصٌ كاملٌ أصلاً، لأنه ما من نصٍّ أصليٍّ، كان أو أدبيٍّ، إلا وتعتريه القوة والضعف. والنص الجديد إذا وجد مُترجماً متمكناً، فقد يطور النص الأصلي، ويلبسه بالترجمة الفاعلة ثوباً بديلاً، يدل على جوهره وجماله. "ذاك أنّ النص وحده يفرض على المترجم كيفية التعامل معه، بتحويلات متفاوتة، تفرضها اللغة نفسها، والحال أنه، مهما كانت لغة الترجمة ودقتها، فإنّ ذلك سيظل نسبياً. لقد لخصت "مدام دوستايل" هذه العملية بإيجاز مهمّ، كما ورد في الترجمة والحرف "لأنطوان برمان": إنّ الموسيقى التي تمّ تأليفها بواسطة أداة، لا تعزف جيداً بأداة مغايرة». ما يعني أن الترجمة لا يمكن أن تطابق الأصل"⁴.

وقد يُقارب المترجم النص الأصل بكفاءة باهرة، لكن لا يصل به إلى حدّ المطابقة. ومن الأمثلة على ذلك، ترجمة (رباعيات عمر الخيام) التي تُرجمت إلى لغات عدة، منها اللغة العربية حوالي عشر مرات في فترات مختلفة، مثل: ترجمة أحمد رامي، وديع البستاني، أحمد الصافي النجفي، ومصطفى وهي التل .. وغيرهم كثير، وتُرجمت إلى الإنجليزية بترجمة تعتبر من أفضل الترجمات للشاعر البريطاني "إدوارد فيتزجيرالد"، حتى إنه إذا عُدت أعماله، كانت هي الأفضل، لتجلي روح الترجمة فيها أكثر. ومثلها، ترجمات "روايات شكسبير" إلى الفرنسية والألمانية والعربية.

إن المعرفة المتعمقة عند المترجم في اللغتين الأصلية والمترجم إليها، تفرض وجودها عند إرادة ترجمة أنواع الأدب (الرواية، القصة، القصة القصيرة، الشعر، والمسرح ..) وفي ظل هذا الزخم الأدبي، صار المترجم اليوم متخصصاً في هذه الأنواع، فتجد من يترجم الرواية، ومن يختص في القصة، وآخر في الشعر.. وهكذا تخصص ضمن التخصص، وهذا أدعى

إلى تمكن المترجم من المادة المترجمة؛ فتتراكم لديه الخبرات، فيرتقي مستواه الترجمي وعمله الأدبي.

تُميّز النص الأدبي صياغته اللغوية، وصوره الفنية، وشكله الجمالي، وعمق معانيه؛ والشعر له وضع خاص، هو (الإيقاع)، فتصعبُ معه الترجمة، لوفرتة بالتعبير العاطفية والملاطفات الاجتماعية، والضربات الإيقاعية؛ مما يُشير إلى عادات اجتماعية، وبُنى ثقافية معينة، لأنّ لكل بيئة وثقافة تعبيراتها البلاغية التي تستعملها في كل مقام، تتراوح بين الوضوح والغموض. فتتطلب من المترجم جهداً مضاعفاً لنقلها.

ومما يصعب التعامل معه أيضاً حال الترجمة، الإيقاع؛ الذي يعني "التدفق المتواصل الذي يتسم بملامح منتظمة متكررة تتميز بالتراوح بين لونين أو أكثر أو بالتقابل بين ضربين من الضربات مثل دقات القلب"⁵. فإذا كان المترجم يبذل قصارى جهده ليجد كلمة توحى بنفس المعنى إلى اللغة المنقولة إليها. "فإن مترجم الشعر يحاول.. إيجاد الإيقاع الذي ينقل معنى الإيقاع في اللغة المنقول منها"⁶. إنّ هذه القيود في لغة الشعر تلزم المترجم بضرورة الدراية بالبحور الشعرية للغتين (الأم، والهدف).

وتزيد صعوبة الترجمة -في الوقت ذاته- حين يسعى المترجم لنقل الصورة الإيقاعية إلى اللغة الهدف. فمثلاً، حين يحاول المترجم "أن ينقل صورة إيقاعية لبحرٍ من البحور الانجليزية في العربية [فهو] محكوم إلى حدٍّ ما بضرورة تقريب هذه الصورة إلى أسمع قُرّاء العربية، دون أن يغالي في الالتزام بالصورة الأصلية إلى الحد الذي يُفسد فيه المذاق العربي للنص المترجم، أو في الابتعاد عنه بحجة إضفاء أكبر قدرٍ من الطابع الإيقاعي العربي عليه"⁷.

إنّ مطالبة المترجم بأن يكون نصّه منسجماً مع الثقافة التي يُترجمُ إليها، نظماً ونثراً، مسرحاً ورواية.. (اللغة العربية مثلاً) ومنسجماً مع قواعدها في البلاغة والنحو وفخامة الالفاظ.. وغير ذلك، ستكون الترجمة على حساب شيء ناقص، ضاعَ تلقائياً أو عمداً

في اللغة الأخرى. والغالب أن المترجم العربي يخضع لمتطلبات اللغة المهيمنة، يرضيها أكثر مما يرضي لغته. حتى لو لم تنسجم مع القارئ العربي. فهدفه إرضاء اللغة السيدة، والعكس صحيح، عندما يترجم الإنجليزي لغة أخرى يرى أنها أقل فلا يهتم بما تتطلبه اللغة الأخرى، يهتم بقارئه الإنجليزي أو الأمريكي، فهذا الجانب يعكس إيديولوجية فيها خضوع قاتل، فالخضوع لأي أيديولوجية يجعل لغتها هي المهيمنة والمسيطرة على عملية الترجمة برمتها.

المبحث الثاني

وظيفة المترجم ودافع الترجمة

المطلب الأول: دور الترجمة في التواصل الثقافي

الترجمة من أهم طرق التواصل بين الشعوب والتعرف على ثقافتها وعلومها وتقنياتها. وهي منذ القدم، تعمل على نقل الثقافات والعلوم؛ وهي اليوم، جسر تعبر من خلاله حضارات الأمم وهي مرحلة أساسية في بناء الحضارات ونقل العلوم والتقنية. وهي ضرورية لتقليل حجم الفجوة الحضارية بين الدول، وبهذا "تُعَدُّ الترجمة عملاً إنسانياً يعبر عن التجارب التواصلية والاتصالية للمجتمعات، فهي من هذه الناحية ليست عملاً مصطلحياً أو لسانياً فحسب، بل اتصال اجتماعي يقوم على فحص نظامين لسانيين اجتماعيين مختلفين وثقافتين متباعدين أحياناً في الرؤى والتصورات"⁸. فالترجمة نافذة تُطلُّ على العالم، وعلى إنجازات وثقافات الآخرين.

والمترجم بدوره، هو لغويٌّ، وكاتب مؤهل، وديبلوماسي مُحَنِّك، معنيٌّ بنقل الثقافة بين اللغات والحضارات المختلفة، في أزمنة وأمكنة متباينة. ويتعين عليه القدرة على التمييز بين الفوارق الدقيقة في اللغة، والبنى الثقافية للغات، لأن المصطلحات المتداولة لها "دور مهم في البنية الثقافية للغتين المصدر والهدف، مما يجعل المترجم أمام اختيار صعب عند تعامله مع مفاهيم المصطلحات أثناء عملية الترجمة"⁹، ومن ثمَّ فالتطور حاصلٌ في المصطلح

واللهجات العامية واللغة الجديدة -وعلى غرار الكُتّاب - ينبغي أن يتعود المترجمُ العمل لساعات طويلة بمفرده، بمادة قد تروق للقليل من الناس، وبلغة أيضا يعرفها القليل ممن حوله. والمترجمُ في الحقيقة كاتب، "أي أن عمله هو صوغ الأفكار في كلمات موجهة إلى قارئ. والفارق بينه وبين الكاتب الأصيل هو أن الأفكار التي يصوغها ليست أفكاره، بل أفكار سواه"¹⁰.

والجانب الثقافي مهمٌ في عملية الترجمة، فعلى المترجم أن يكون محترفًا في مهنته، قادرا على تكييف الجوانب الثقافية، بما يتفق مع ثقافة النص المنقول إليه؛ فيكون المترجم على دراية بثقافة اللغتين، لغة النص الأصل (المصدر) والنص المترجم (الجديد).

وقد أشاد "خليفة الميساوي" بدور المترجم وفعاليتيه في عملية الترجمة، وأوعز تكوينه الكيفي إلى معطيات يلزم توفرها في مراحل إعدادة ليكون ذا كفاءة عالية، تمكنه من فهم مسالك الترجمة وتجاوز عقباتها. وهي كالاتي:¹¹

- التكوين المعمق في اللسانيات العامة واللسانيات التطبيقية، ليتحكم في نظام اللغة التركيبي والدلالي.
- التكوين المعمق في لسانيات النص، ليعرف كيفية اشتغال النصوص وترباطها وتحليل نسيجها اللساني.
- التكوين المعمق في نظريات تحليل الخطاب، ليعرف استراتيجيات إنتاجه ومكونات عالمه واتجاهات تأويله.
- التكوين المعمق في تاريخ العلوم والأفكار، ليعرف سياقات إنتاجها وأبعاد تكوينها وخلفيات نظمها المعرفية والاستمولوجية.
- التكوين المعمق في تاريخ الثقافات والحضارات وأبعادها الاجتماعية، ليتمكن من فهمها وترجمتها، فكل نص محفوف لحظة إنتاجه بهذه الأبعاد.

إنّ بين يدي مثلث (النص، المترجم، والقارئ)، يتراءى سؤالٌ جوهري إلى الأذهان، لماذا يُترجم المترجم؟ وما الدافع له للقيام بفعل الترجمة؟

المطلب الثاني: الترجمة وعامل التخصص

الترجمة جزء من العمل الثقافي المشترك، ونبيغ لنشر الوعي والمعرفة في الأمة، وهي إحدى المجالات الكبرى، لمن يجيد أكثر من لغة، أن يسهم في نشر العلم والثقافة والابداع، على حسب ما يجيده، مع الوضع في الحسبان "أن الترجمة هي مترجم وكتاب وقارئ ومجتمع داعم، وديناميكية حركية نحو هدف مشترك .. ومغامرة في سبيل نهم معرفي واستكشاف للمجهول"¹².

والترجمة امتداد طبيعي عمليّ للتعريف بالدراسات ونقل الثقافات الأجنبية إلى العربية. لذلك هي: "أساس المجتمعات المتثقفة عبر عملية نقل المعرفة، وهذا النقل ليس رديفاً للهوية، ولا هو مُقَوَّضٌ لها، بل هو جوهرُ البناء، فإنما يُنْقَلُ ثَرَاتٌ لآخر بقصدٍ بناءٍ أُسسٍ فكرية وثقافية متعايشة وراهنّة ولكنها غير منقطعة عن أصولها في الوقت نفسه"¹³؛ فالترجمة عنصر مهم في التواصل الانساني بكل أبعاده الاجتماعية والثقافية والحضارية عبر الأجيال المتعاقبة، حيث واكبت العلوم المختلفة في تكوينها ونمائها وازدهارها، وما حلّ النور والضياء عند الغرب، إلا بنتاج العرب الفكري والعلمي كما حصل في عصر النهضة الغربية.

يُفترض في المترجم، أن يعمل في الحقل الذي هو متخصص فيه. فالمتخصص في علم النفس سترجم كتباً في علم النفس، وعلم الاجتماع أو الدراسات النقدية أو الفلسفة أو غير ذلك .. لأن صاحب التخصص أدرى بمصطلحاته ومعاني مفرداته وأبعادها كذلك، "فالعمل الترجمي الدقيق يتطلب التخصص حتى يستطيع المترجم أن يسيطر على المفهوم ويمتلك ناصيته ويحسن استغلاله في إعادة إنتاج مصطلحات ملائمة ومتطابقة مع المفهوم الذي أسند إليها في الخطاب الأصلي"¹⁴.

وعملية الترجمة شاقة بقدْر عَظَم نتائجها وثمرتها المرجوة، فهي عملية تعلم وتعرف على مجال قد يغيب عن المترجم في حد ذاته. "والمترجم اليوم يتعامل مع لغة الحضارة، وهي لغة تشعبت وتفرعت وتعمقت وأصبحت الإحاطة بها إحاطة كاملة من المستحيلات"¹⁵. وأصبح عليه وجوبا "أن يحيط بمكن اللغة الذي تغير، ليس فقط بسبب دخول كلمات جديدة مستمدة من لغات أجنبية، بل أيضا بسبب اكتساب بعض الكلمات القديمة معاني جديدة"¹⁶.

من المفترض أن يعمل المترجم في حقل يجيده، لكن كل مجال له شروط مختلفة عن الآخر، فترجمة الأدب مثلا، بشكل عام تحتاج إلى حساسية أدبية، بأن يكون لدى المترجم قدرة نقدية على أن يستكشف إichاءات النص، وكلماته. ويكون لديه أيضا، روحٌ شعرية منفتحة، ليتمكن من ترجمة الشعر، لأنه من الصعب أن يقوم عالم فيزيائي بترجمة قصيدة، فلا بد من حساسية أدبية، وقدرات ذاتية إبداعية خاصة بالنص المترجم .. وفي المقابل عند ترجمة نصوص علمية تحتاج إلى معرفة دقيقة بالعلم المترجم وحيثياته، وامتلاك للغة العلمية الموازية والتي تستطيع نقل النص العلمي إلى لغة أخرى.

المبحث الثالث:

إشكالات الترجمة والمترجم

المطلب الأول: طبيعة التحديات اللغوية للترجمة

راج سوق الترجمة اليوم، بفضل وسائل الاتصال السريع. وفي ظل هذا الازدهار قابلت الترجمة عامة مجموعة من الإشكالات، يمكن اختصارها في الفقرات الآتية. أول إشكالات الترجمة، اللهُثُ خلف التطورات اللسانية الحديثة، مما تولّد عنه تفسيرات فردية لا ترقى إلى اعتمادها جماعيا، بالإضافة إلى طابع طفرة الجِدة والتميّز للأعمال اللسانية الحديثة، فهل يمكن مع هذا الزخم الغربي اللساني والمصطلحي القيام بترجمة ذات

نسق ومنهج موضوعي مقبول، حيث يكون الانطلاق فيه من علوم التراث العربي الأصيل.

إنَّ الصعوبة الأساسية في الواقع هي الاختلاف الثقافي والحضاري، لأن اللغة حاملة الثقافة، وعند الترجمة يكتشف المترجم الفجوات والمسافات، بقدر ما يكتشف أوجه العلاقة والمساحات المشتركة. والترجمة هي معنية بالمساحات المشتركة. لأنها تربط بين لغتين، بين ثقافتين بين حضارتين أو أكثر. ولكن هذه المحاولة لاكتشاف المساحات المشتركة تؤدي الى اكتشاف الاختلاف الثقافي. نكتشف مثلاً أنه فيه كلمات في لغة ليست موجودة في لغة أخرى أو مفردات أو مفاهيم أو عادات. تنامت لدى أهل تلك الثقافة من دافع تجربتهم وحياتهم. ولهم تولد في الثقافة الأخرى مثلها. "المترجم دائماً في حاجة إلى التقريب بين معاني هذه الكلمات، وتلك، وأحياناً ما ينجح وكثيراً ما يفشل .. وهذه تُمثّل أول مشكلة"¹⁷،

إنَّ إيجاد مُقابل أو نقل إحياء ومعنى موجود في لغة ما إلى لغة أخرى، وجمهوراً من المتلقين الجدد، هو تحدٍّ كبير. فكلمة "ثلج" مثلاً، لها في لغات "الاسكيمو" مرادفات كثيرة، ومركبة، كلها تعني "ثلج" بمفردها أو في سياقها الصحيح، فإذا أتينا اللغة العربية نجد كلمتين أو ثلاث "للفظة الثلج". نجد كذلك، أن اسم حيوان "الكنغر" ليس له وجود في المنطقة العربية ولغتها، وهو معروف عند الاستراليين. وهنا يقع التحدي على المترجم، حين لا يستطيع إيجاد كلمة مقابلة لاسم حيوان "الكنغر" فيضطر إلى نطقه باللغة العربية كما هو، وهذه أبسط الإشكالات، وتشتد الصعوبة أكثر، إذا تعلّق الأمر بالمفاهيم المجردة، كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس.

إنَّ عملية نقل دلالات كلمة مفرداتها موسعة في لغة إلى لغة ليس فيها هذا المقابل تحدٍّ عسير، وقد يكون مستحيلاً أحياناً، "وتزداد المسألة تعقيداً، إذا نقل المترجم الفكرة العامة، نقلاً حرفياً، من لغتها الأصلية، إلى لغة جديدة .. مما يصعب معه الفهم، لتزايد

الإضافات"¹⁸. ويواجه المترجمُ الصعوبة ذاتها، إذا أراد أن ينقل دلالات "الجمل" أو "الرّفل" من اللغة العربية، والثقافة العربية، إلى لغة أخرى ليس فيها هذا المقابل المتعدد. وفي هذه المسألة بالذات يلزم المترجم "احترام الهوية الثقافية للغة المصدر؛ لكيلا يقع في خطأ تشويه ثقافة النص المصدر عند نقلها إلى ثقافة المتلقي الجديد"¹⁹. يأخذ المترجم نفس الكلمة، ويصف للقارئ وصف الحيوان والرمل وصفا دقيقا لِيَتَبَيَّنَهُ.

"إن لعلم الترجمة أهميته في التعامل مع المصطلح؛ بوصفه المرآة التي تعكس فهم المصطلح في لغته الأم، ثم تنقله إلى المتلقي في اللغة الهدف"²⁰، لذا فإنه يتعين على المترجم - إضافة لتمكنه من اللغة الأم واللغة الهدف - "أن يكون مطلعاً على الهوية الثقافية للغة المصدر التي يأخذ منها المصطلح؛ مع الاطلاع على ظروف وبيئة تشكل المصطلح، لأن المصطلحات محمّلة بخلفيات ثقافية، ومرتبطة بأصول ومرجعيات"²¹ دينية، "إن الترجمة قدرات معرفية وبرغاماتية قبل أن تكون مجرد نقل من لسان إلى لسان آخر، فالمترجم الذي لا يتمكن من ضبط شروط نشأة المصطلح في لسانه الأصلي لا يستطيع أن يضبط شروط ترجمته في اللسان الهدف"²²، ولا يمكنه أيضا "أن يقوم بترجمة المعارف دون أن يتواصل معها في اللسانين الأصل والهدف، فالترجمة [في الواقع] تواصل بين كيانات معرفية مختلفة النشأة وموحدة الهدف"²³.

ومن حيث المبدأ، يجب الإقرار بغياب الترجمة المصطلحية الموحدة، وعدم وجود كافٍ للمعرفة الملمّة بمعطيات الترجمة، وغيابٍ للتوازن بين ما نحتاج وبين ما نُنتج، وعليه يمكن القول: "إن مشكلة الترجمة في العالم العربي هي تجسيد لأزمة التخلف العلمي والتكنولوجي والاجتماعي، أي أزمة مجتمعات غير إنتاجية. وانعكس هذا واضحا في إنتاج المعرفة العلمية وفي التعليم والثقافة العلمية، وتجلّى واضحا في الانصراف عن القراءة وعن الترجمة"²⁴.

وفي نهاية هذا المبحث، يمكن اختصار الإشكالات التي تواجه المترجم أثناء عملية الترجمة فيما يلي: ²⁵

- معرفة الفروق بين دلالات الألفاظ في اللغات المختلفة.
- معرفة التراكيب، أو ما يُعرف بهندسة الجملة.
- معرفة التعبيرات المجازية والاستعارات.
- معرفة الألفاظ المستحسنة من المستقبحة والتميز بينها.
- تمييز الألفاظ ذات الجمال اللغوي الخارق.
- التمييز بين الألفاظ التي لها أكثر من معنى، والدقة في استعمالها.

المطلب الثاني: الترجمة والمترجم (بين النزاهة والملكية الفكرية)

ترتبط الملكية الفكرية ارتباطاً وثيقاً وأساسياً في مجال الترجمة عموماً، وفي نقل الأعمال الإبداعية من اللغات الأجنبية إلى العربية أو العكس. ففي الملكية الفكرية، وبالتحديد في حقوق المترجم، تهتم مؤسسات حقوق التأليف والترجمة المختلفة بضرورة تسجيل الأعمال الإبداعية المتنوعة، سواء كانت مصنفات مكتوبة أو مرئية أو صور فوتوغرافية.. وغيرها. فمن المهم توثيق جميع الأعمال الترجمة، لأنّ هناك قضايا وإشكالات تواجه الترجمة والمترجمين، يجب الوقوف عليها وتبيان الحقوق فيها من أجل حمايتها والدفاع عنها.

ومن الإشكالات القائمة في هذا الصدد، العمل المتسارع والحديث من قِبَل بعض دور النشر في اكتساب الأسبقية في النشر قبل غيرها (محلياً ودولياً)، من أجل تحقيق أعلى المبيعات؛ وهذا مؤشرٌ جوهري، وهو مَنْ يؤدي إلى التقليل من مستوى جودة الترجمة بالضرورة، إضافة إلى ذلك، هناك إشكالية أخرى، وهي عدم الاهتمام بشراء حقوق النشر أو الترجمة (حقوق الملكية الفكرية). "وفي خضم هذا التسارع في حماية الملكية الفكرية في العالم؛ لم تشأ الدول العربية أن تكون بعيدة عن المشهد، وذلك لأهمية الملكية

الفكرية وتأثيراتها الاقتصادية والاجتماعية، وأهمية إيجاد نظام عربي موحد يلائم الطبيعة الخاصة للوطن العربي ويحمي حقوق المؤلف .. ومن شأنه تشجيع المؤلفين على الابتكار والابداع والتجديد والتواصل"²⁶.

فأمر الملكية الفكرية في إنتاج الثقافة خطير جدا، ويسوده القرصنة، سواء للمؤلفين أو للمترجمين؛ ومع انتشار الترجمة المجانية والمستعجلة، وذيوغ اعتقاد فاسد، أنه لن يدري أحد بهذا الأمر وهذا العمل.. فتضيع الحقوق، تضيع عن المؤلف، عن الناشر، وعن كل من له حق في هذا الإبداع المترجم. إنّ الملكية الفكرية ما هي إلا "نتاج فكرة إبداعية متميزة للعقل البشري، يمكن تحويلها إلى منتج مادي ومعنوي، وتكون ملكا لصاحبها يستطيع الاستفادة منها ماديا.. وتبقى الاستفادة الأدبية إلى ما لا نهاية، كحقه في نسبتها إليه، وهي حق من حقوقه، واجب حمايته عن طريق القوانين والأنظمة المطبقة"²⁷. على أشكال الحقوق التي تظهر بها: كحقوق التأليف والنشر، المختصة بالكتب والمقالات.. وغيرها.

فلا بدّ أن تعي الهيئات الثقافية الرسمية، أنه من الضرورة بمكان، وضع هيئة مخولة قانونا، تُعنى حصريا بمنح الإجازة بالنشر، والرقم القانوني الدولي، وهي من تدافع عن الملكية الفكرية، وتؤدي حقوق الاختراع والإبداع، وتحفظه لأصحابه؛ لأنه إذا حلّ التساهل في هكذا قضايا مصيرية، فستعمُ فوضى عارمة، تحتل فيها الأمانة العلمية، وتعصف بجوانب أخرى من الحياة، سواء التجارية أو الاجتماعية أو السياسية، أو تُزري بمستوى الترجمة بأنواعها؛ وحقيقة الأمر هنا: "أن الترجمات ليست آمنة أو حرة بصورة مطلقة، وليست حسنة أو سيئة إلى الأبد، في جميع الظروف، بل إنه من الممكن تماما أن تكون آمنة في بعض الحالات وحرّة في حالات أخرى، حتى تؤدي المهمة التي تُرضي من دفع إلى القيام بها أصلا"²⁸.

إنّ الالتفاف حول هذه المسائل، وكذلك الحقوق، وحقوق الترجمة على وجه الخصوص، إعلان لحقٍّ آخر من نصيب القارئ، الذي من حقه أن يعرف عن أي لغة تُرجم هذا الكتاب أو ذاك، هذا الحقُّ الذي يُجبر المسؤولين على مراقبة مؤسسات الترجمة وفحص نتائجها، لأنه إذا غاب الرقيب، فسيدفع الثمن القارئ، والثقافة بشكل عام، فامتلاء الساحة الثقافية بأعمال ترجمة ضعيفة، أو فيها وهن كبير، وحذف كثير.. سيشكل ذلك عائقاً أمام مستقبل أفضل ومشرق للترجمة والمترجمين؛ والذي يُراد له أن يكون مشروعاً تنموياً ثقافياً معرفياً بامتياز.

يحتاج المترجم وبشكل بالغ، إلى بيئة صالحة للعمل، على رأس أولوياتها حماية حقوقه الفكرية، لأن من بين المشكلات المنتشرة اليوم بخصوص هذه الحقوق، وتؤثر سلباً على مستوى التأليف والنشر. ظاهرة انتشار النسخ غير المجازة أو غير المسموح بها، على الإنترنت بصورة "بي دي آف" مثلاً، وهي نسخ غير قانونية في الواقع. وانتشارها بهذا الشكل يمنع الناشر والمؤلف والمترجم من الاحتفاظ بحقوقه، فالحقوق ضائعة على هذا المستوى، وليست هناك جهة رسمية تتابع انتشار الملكيات الإبداعية أو تحفظ الحقوق الفكرية.

لذلك من الواجب المتعين، أن يتم العمل على حماية حقوق الملكية الفكرية لأصحابها؛ بواسطة لجان مراقبة رسمية مختصة، بالإضافة إلى دعم المؤلفين والمترجمين لقاء أعمالهم. وما نشط المترجمون أيام "دار الحكمة" في بغداد إلا بسبب وفرة الإغداق، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه حال المترجم اليوم، لأنه بدون هذا الدعم، لن تكون الترجمة مغرية، حتى لو كانت على مستويات عالية، كالأعمال العلمية، والكتب الضخمة، والدراسات الموسعة؛ حتى الأعمال الأدبية التي فيها شيء من التعقيد والعسر لن يُقبل عليها المترجم، طالما لا يجد الدعم الكافي الذي يستحقه، لأنه حقيقة، هو الضمان لاستمرار مشروعات الترجمة بأنواعها المختلفة، وبمستوى عالٍ ومُشرف.

خاتمة:

الترجمة نافذة التاريخ والأدب والثقافة، وهي كذلك أداة لتصدير حضارة الشعوب والأمم، يمتلك زمام أمرها مُترجمٌ متشبع بالمعارف والعلوم والثقافات، على اختلاف بيئاتها وألسنتها ولهجاتها.

- إنَّ ثقافة المترجم مسألة لا بدّ منها في عملية الترجمة، فينبغي امتلاك شيء من الثقافة العامة، وبشكل أكثر، من الثقافة الخاصة في الموضوع الذي يشتغل عليه.

- يجب على المترجم إتقان لغتي الترجمة التي يعمل عليها، نحواً وصرفاً وتاريخاً.. لكي تكون الترجمة مقبولة، وليست ترجمة للمصطلح بما يقابله، مجرداً من سياقاته المختلفة وبيئته الخاصة به.

- إنَّ الترجمة الجيّدة، هي التي يتحرى فيها المترجم الدقة في معاني الكلمات ووضعها في سياقها المناسب لها، في الأدب عامة، وفي لغة الشعر خاصة.

- المترجم الجيّد، هو من يقوم بعملية الترجمة للنص، ثم ينسحب؛ من دون أن يترك أثرًا، أو يسمع به أحد، مُخلِّفًا نصًّا مكتوبًا صالحًا للقراءة. يتعامل معه القراء كأنه النص الأصلي وليس النص المُترجم.

- إن حقوق الملكية الفكرية لها فضل وتأثير كبير على حماية حقوق المترجمين والمبدعين، الذين بدورهم ساهموا في التواصل الانساني والثقافي. ويظهر ذلك جليا في الدول التي تمنح أولوية فائقة لحقوق الملكية الفكرية لجميع الأعمال الترجمة والإبداعية في شتى المجالات الانسانية والاجتماعية.

وأخيرا، المترجم هو كاتب بالضرورة، ويجب أن يتخصص في المجال الذي لديه شغف فيه، فينبغي أن يتعمق المترجم الأدبي في أساليب الأدب، فيلتقط الفكرة، الحكمة، الفن، الذوق والإبداع.. ويعكسه في اللغة التي يُترجم إليها، دون المساس بالمعنى الأصلي للنص المترجم.

الهوامش:

- ¹ محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط2، 2003م، ص7-8.
- ² براككي أوريدة، الحرفية في الترجمة الأدبية لدى "أنطوان برمان"، رسالة ماجستير، إشراف: محمد الأخضر الصبيحي، جامعة قسنطينة(01)، 2012/2013، ص24.
- ³ فاطمة زراقت، شيماء عبد الله، اللغة العربية والترجمة وتحديات المصطلح، مجلة وزارة الثقافة والشباب، تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها - الإمارات العربية المتحدة، ص228.
- ⁴ السعيد بوطاجين، مرايا عاكسة الترجمة والحيانات الجميلة، مقال: 22-02-2021م، صدر في جريدة الجمهورية، وهران، يوم: 2 مارس 2021 / 18 رجب 1442، رابط الجريدة: <https://www.eldjournhouria.dz/art.php?Art=95063>
- ⁵ محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص91.
- ⁶ نفسه، ص96.
- ⁷ نفسه، ص110.
- ⁸ خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان - الرباط، منشورات الاختلاف - الجزائر، منشورات ضفاف - الرياض، ط1، 2013م، ص85.
- ⁹ عامر الزناتي الجابري، إشكالية ترجمة المصطلح مصطلح الصلاة بين العربية والعبرية أمودجا، مرجع سابق، ص395.
- ¹⁰ محمد عناني، فن الترجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط5، 2000م، ص5-6.
- ¹¹ خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، مرجع سابق، ص86-87.
- ¹² شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي الواقع والتحدي في ضوء مقارنة إحصائية واضحة الدلالة، المركز القومي للترجمة، القاهرة - ط1، 2010م، ص51.
- ¹³ فاطمة زراقت، شيماء عبد الله، اللغة العربية والترجمة وتحديات المصطلح، مرجع سابق، ص229.
- ¹⁴ خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، مرجع سابق، ص88.
- ¹⁵ محمد عناني، فن الترجمة، مرجع سابق، ص7-8.
- ¹⁶ نفسه، ص8-10.
- ¹⁷ محمد عناني، فن الترجمة، مرجع سابق، ص11.
- ¹⁸ سعيد علوش، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الشركة العالمية للكتاب - دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي، لبنان، شوشبريس - الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص263-264.
- ¹⁹ عامر الزناتي الجابري، إشكالية ترجمة المصطلح مصطلح الصلاة بين العربية والعبرية أمودجا، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، د:ت، عدد 9، المملكة العربية السعودية، ص396.

- ²⁰ عامر الزناتي الجابري، إشكالية ترجمة المصطلح مصطلح الصلاة بين العربية والعبرية أمودجا، مرجع سابق، ص333.
- ²¹ فاتح محمد سليمان، إشكالية ترجمة المصطلح دراسة نظرية، مجلة جامعة التنمية البشرية، المجلد 2، العدد 3، 2016م، ص465-466.
- ²² خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، مرجع سابق، ص97.
- ²³ نفسه، ص99.
- ²⁴ شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي الواقع والتحدي في ضوء مقارنة إحصائية واضحة الدلالة، مرجع سابق، ص78.
- ²⁵ عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، مكتبة وهبة - القاهرة، ط 5، 2004م، ص414-417.
- ²⁶ مصعب علي أبو صلاح، واقع الملكية الفكرية وأثره على الاستثمار في قطاع تكنولوجيا المعلومات في فلسطين، رسالة ماجستير، اشراف رابع مرار، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2016م، ص33.
- ²⁷ مصعب علي أبو صلاح، واقع الملكية الفكرية وأثره على الاستثمار في قطاع تكنولوجيا المعلومات في فلسطين، مرجع سابق، ص25.
- ²⁸ سوزان باسنيث، أندريه ليفيقيير ، بناء الثقافات مقالات في الترجمة الأدبية، ت: محمد عناني ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015م، ص32.